

## نيتشه ومسألة قلب كل قيم منعطفاً لالأزمة المعاصرة

\*أ. حفصة طاهر

إن المحاولات المعاصرة في الفكر الفلسفى أخضعت الأخلاق كما أخضعت الدين لدراسات وتساؤلات أضفت تمكّن الجماهير بعها، ودفعتها إلى استبدال الإباحية والإلحاد بها، وسلك الفن طرقاً غربية، كثيرة ما أبعدته عن الواقع للتعبير عما وراءه في عالم لا وجود له إلا في مخيلته أصحابه.

إن الاختلاف الذي عرفه مسألة القيم في الفكر عامّة، شكلت منعرجاً غير منغلق على التحليل الفلسفى والعلمى. فإذا كانت الألأنحاقية ترى القيمة كلها في لذات الجسم والمادية تراها في الإنتاج والاقتصاد، والنزعـة العلمـية في العـلم والعـقـلانية في العـقل والنـزعـة الفـنية في الفـن والنـزعـة الأـلـحـاقـية في التـعلـيمـات والأـوـامـرـ.

\* أستاذ بجامعة تيارات، الجزائر.

إنّ هذا التباهي الصارخ حول مفهوم القيم ومدى تأثيرها على الفكر الإنساني خلقت المشكلة وأضحت رديحاً من الزمن تنظر لتأسيس النظرية وفق ضوابط منهجية. لكنها على حد تعبير جان فال: «نظريات القيمة لا تظهر إلا في اللحظات التي يقل فيها الشعور بالقيمة، فحن نحيا في عالم يمكن مقارنته بالكهف الذي يتحدث عنه أفلاطون في الجمهورية، وهو كهف لا يرى المسجونون فيه إلا صوراً مسطحة منعكسة على حائط. إن العالم الحديث ليس شيئاً سوى هذا العالم السطحي الذي لا نرى فيه عمق الأشياء»<sup>1</sup>. فتحليلات جان فال تخيّلنا إلى أنّ مسألة القيم تأخذ بعدها فكريّاً كبيراً، وجعل منها سداً أمام المعرفة واحتلالاً في الفكر وصيورة للمكاشفة والحجاج الفلسفى وليس يقيناً للعلم.

وإذا كان نيتشه Nietzsche حاول أن يرسم تصوراً للحياة خالفاً به كل الفلسفات الميتافيزيقية السابقة والتصورات الدينية السائدة وخاصة منها التصور المسيحي الذي يعادي الحياة ويقصي كل بعد فيها. فإن الرؤية الكانتية تعتبر القيمة مستقلة عن الوجود بينما كان أرسطو وديكارت وسبينوزا ولبيتر يعتبرون القيمة تابعة للوجود بكيفية أو أخرى، ولكن كانت تعتبرها مستقلة عنه.

ولمعرفة الأزمة التي تركها الفكر الغربي على مسألة القيم نورد الفيلسوف نيتشه «المولود في أواسط القرن التاسع عشر، في 15 أكتوبر من عام 1844 في بلدة ر يكن قرب لييج. وصادف يوم مولده يوم عيد الملك البروسي الحاكم فريدريش غليوم الرابع، وقد جلبت هذه المناسبة السعيدة السرور إلى قلب والده الذي ربي العديد من أعضاء العائلة المالكة، فأطلق على ولدته الجديد اسم فريدريش تينما باسم الملك، وفي هذا الصدد يقول نيتشه: «لقد كانت هناك، في كل الأحوال، فائدة

<sup>1</sup> الريع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والطلقاوية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1978، ص 67.

واحدة في اختيار هذا اليوم لولادتي، إذ أن يوم مولدي كان طيلة أيام طفولتي، يوماً للاغتباط الشعبي»<sup>1</sup>.

تشكل العودة إلى اليونان (أو الإغريق) هاجساً مشتركاً بين بعض الفلاسفة والمبدعين بصفة عامة فهذا نيتشه في كتابيه *الماء الميت* "Mémoires de la naissance de la philosophie à l'époque de la tragédie Grecque" الحياة اليونانية وهي الفترة السابقة لسفرات زمنيا، لأن ظهور هذا الأخير سيكون للأسف مؤشراً لبداية الانحطاط والنسار الإبداع بسبب طغيان العقل والبالغة في استخدامه في جميع الحالات، وما ترتب عن هذا الاستخدام من كبت للذات ولعواطفها وغراائزها<sup>2</sup>.

لقد بدأ لنا نيتشه مبشرًا بعصر جديد على غرار الأبطال العظام والقديسين والأنباء، وإن كان مخالفًا لهم في المنهج والطريقة، لذا فالتبشير كثيراً ما كان في شكل أحلام طوباوية عند هؤلاء، فان نيتشه يسعى إلى خلق واقع جديد، واقع أرضي تحكمه قوى حيوية وغراائز متوجهة.

ولما كانت فلسفة نيتشه تتعلق أساساً بالحياة من حيث هي مجال لخلق القيم، فإن هذه الفلسفة تكاد تسوى بين إرادة القوة من جهة وبين الحياة من جهة أخرى، إذ أن العالم والحياة والوجود في الحقيقة وجود متعدد لإرادة القوة، وجوهر الحياة

<sup>1</sup> مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية - نيتشه، منشورات مكتبة الملال، بيروت، ط1، 1985، ص 44.

<sup>2</sup> عمر مهيل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص 192.

نفسها هو إرادة القوة التي تعني المقدرة والرغبة التي تسكن كل شخص في أن يهيمن على الآخرين ويخضع الأشياء لسلطته<sup>1</sup>.

ومنه فان نيتشه ينتقد الفلاسفة الذين حلوا مفهوم إرادة القوة بهذا المعنى حيث تكون القوة هي الشيء المرغوب فيه والمفضل من قبل الإرادة. إن فلسفة الإرادة النيتشوية تدمر الميتافيزيقا القديمة وتعلن أن فعل الإرادة هو فعل الخلق وأن الإرادة في حد ذاتها فرح يحرر الكائن عبر خلق قيم جديدة.<sup>2</sup>

فالسبيل الذي سلكته القيم التي زعزع نيتشه أركانها تأخذنا إلى مفارقة الكشف عن حجاب المعمول في حلقة الارتياب، ف الحديث نيتشه عن أهمية وجود محكمة عليا خارج الجامعات ليس صدفة وإنما انطلق من ارث أستاذة الجليل - شوبنهاور - الذي ترك فيه مأساة حقيقية وترأجidiya فكرية عن الجامعة. إذ يقول نيتشه: "يبدو من المهم جدا بالنسبة لي أن تكون هناك محكمة عليا خارج الجامعات كما تشرف عليها، وتحاكمها بصدق الثقافة التي تشجعها، وحملها تسحب الفلسفة من الجامعات، وتشذب نفسها من جميع الاعتبارات التافهة ومن الإبهام، فلسوف تؤدي، بالضرورة، دور هذه المحكمة".<sup>3</sup>

إن مشروع نيتشه يقوم على إدخال القيمة والمعنى إلى الفلسفة، ولقد أراد أن تكون فلسفة القيمة فلسفة نقدية، والمبرر الذي يحرك هذا المشروع هو كانط Kant لم يحسن، في نظره، طرح المشكلة النقدية بتعابير القيم، فتصبح المشكلة النيتشوية

<sup>1</sup> نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم - نماذج نيتشوية، دار التدوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص .64

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 66

<sup>3</sup> هيوج سلفرمان، "نصيات"، تر: علي حاكم و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط1، 2002، ص 279.

متعلقة بالبحث في قيمة القيم و فعل التقويم بما هو مصدر لهذه القيمة، بالإضافة إلى مشكلة خلق القيم.

فمشكلة نيتشه ترتكز على أبعاد خلقية حلقت مشكلة الاختلاف، فهو يعترف في قوله: كيف يحدث إذن أني لم أتق أحدا بعد، حتى ولو في الكتب، يكون قد اتخذ موقعا شخصيا مماثلا بخصوص الأخلاق، يكون قد عرف الأخلاق كمشكلة وعرف هذه المشكلة ككآبة، كعذاب، كشغفه الشخصي؟ بكل بساطة، لم تكن الأخلاق مشكلة قط حتى الآن، بل كانت ذلك الذي كان الناس ينتهون بأن يتواافقون حوله بالتبادل بعد مظنات وانشقاقات وتناقضات، كانت المكان المقدس للسلم حيث يستريح المفكرون، الذين أنهم طبعهم، يتفسرون ويستعدون الحياة، أني لا أعرف أحدا تجرا على انتقاد أحكام القيمة، أبحث عبشا، في هذا المضمار، عن كل محاولات الفضول العلمي، عن محاولات خيال علماء النفس والمؤرخين المتذبذبة وال fasdes الذي يحدس مشكلة بسهولة ويستوعبها في الهواء دون أن يعلم بالضبط ما قد استوعبه<sup>1</sup>.

في الانفتاح عن مسار التتحقق يؤكّد نيتشه أن الإنسان يحتاج إلى إنتاج أحكام قيمة يبرر بواسطتها لنفسه وخاصة لحيطه جملة أفعال وموافقه، ولكن العمل الفلسفي الأهم يتمثل في تحديد أصل هذه القيم الأخلاقية التي يتداولها الناس بينهم، وقد عبر عن هذه الوجهة الفكرية قائلا:

*«Le problème de l'origine des valeurs morales est pour moi une question de tout premier ordre, par ce que l'avenir de l'humanité en dépend»<sup>2</sup>.*

<sup>1</sup> نيتشه، "العلم المرح"، ترجمة: حسان بورقية و محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص 207.

<sup>2</sup> عبد اللطيف، مرجع سبق ذكره، ص 32.

تنطلق هذه الدراسة التي نقدمها عن القيم في فلسفة نيتشه من فرضية أساسية هي أن فلسفة نيتشه بأكملها محاولة من أجل إعادة تقييم القيم، أو قلب القيم *Transvaluation* – حيث يمكننا أن نقول أنه رغم تعدد وتنوع القضايا التي شغل بها الفيلسوف – إرادة القوة، العود الأبدى، العدمية – وكانت محور كتابات الباحثين في فلسفته، التي يظهرها التحليل أنها مشغولة بالوجود والحقيقة والعقل والمعرفة والفن والتأويل، ما هي في الأساس إلا قلب للميتافيزيقا الغربية واستبدال مشكلة الوجود بمشكلة القيمة. إن النقد الجذري للفكر الميتافيزيقي بأكمله – فيما يرى نيتشه – لا يتحقق إلا بكشف حقيقته التي تكمن في أنه مجرد أخلاق، معنى ذلك أن أساس الميتافيزيقا والبحث الأنطولوجي هو الأخلاق والقيم، فالإفراط في القوة هو ما يبرر القوة حسب فهم نيتشه، «إن قلباً ما لكلّ قيم، علامه الاستفهام هذه السوداء، المقلقة حتى إنها تلقى بظلالها على الذي يطرحها مهمة محملة بهذا المقدار باللعنة، هو ذلك ما يرغّم على الإسراع كل آن إلى الشمس لتحرير الحمل التقليل، المفرط الثقل، من جديته، من أجل هذا، كل وسيلة حسنة، كل حظ هو حظ سعيد»<sup>1</sup>.

في حين يتخذ نيتشه موقف الناقد للقيم الأخلاقية الممحض الذي لا يعترف أصلاً بالقيم السائدة ويحاول تقويمها من جديد<sup>2</sup>.

فالتحليلات نيتشه كانت معمقة لدحض الميتافيزيقا الغربية وكل ما صورته الأخلاق السابقة فهو يعترف في كتابه – هذا الإنسان – بقوله: «في هذا الكتاب

<sup>1</sup> نيتشه، أقول الأصنام، تر: حسان بورقية – محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص 5.

<sup>2</sup> غالب، في سبيل موسوعة فلسفية – نيتشه، ص 57.

حملتي ضد الأخلاقيات»<sup>1</sup>. نلاحظ أن الرؤية النيتشوية وسعت من مجال القيم وتركت جراحاً مزقت الفكر الغربي وشكلت الأزمة التي لطالما شغلت الفكر الغربي المعاصر.

ويخلص نيتشه من تحليله للأخلاق إلى إعلان الثورة على الأوضاع الأخلاقية السائدة والعمل على قلب أسسها الواهية لقصورها عن المبادئ الأساسية للسلوك الإنساني، ذلك من أجل إيجاد إنسانية أفضل وأرقى.

فقد كانت أفكار فيخته وشلينغ وهigel وشوبنهاور تحب جمياً ناشرة في أوروبا مريجاً من مذاهب القدرية والعدمية ووحدة الوجود والإرادة الحرة. فقال شوبنهاور أن روح الوجود قوة طائفة عمياء أدركت نفسها في عقل الإنسان وشعوره فوجم حائراً وفي نفسه ظمأً في صحراء لا ماء فيها غير وهج السراب.<sup>2</sup>

خييم شبح نيتشه على كل التيارات الفلسفية المعاصرة، وسار وراء الكثير من المعجبين بدءاً من هيدغر، ومروراً بماركوز، ووصولاً إلى فوكو. وبعد التجاهل الذي لقيه أثناء حياته، يعود عمل نيتشه اليوم أكثر قوة، من خلال جيل جديد من النقاد والفلسفه الكبار. ولم يقتصر تأثير نيتشه على الفكر الغربي فقط، بل امتد تأثيره إلى المفكرين العرب؛ فلقد استطاع نيتشه أن يجذب إلى فلسفته الكثير من المتحمسين الذين عبروا عن مزاعم في ميراث عربي للنيتشوية. ولقد اجتذب نيتشه المفكرين العرب بدعوته إلى السمو بالحياة، ومناهضة القيم التي لم تعد، في نظره، متفقة مع أحوال العالم الحاضر، فاندفعوا نحوه معلنين ثورتهم على التقاليد والانحطاط. وهذا الزعم يقدم تحليلاً للثورة على الانحطاط التي حمل لواءها نيتشه،

<sup>1</sup> السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 2004، ص 48.

<sup>2</sup> فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، تر: فليكس فارس، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، بدون سنة طبع، ص 18.

وشرحًا لأسباب انتقال تلك الثورة إلى الفكر العربي، وإقحام نيتشه فيها. والدراسات التي تشتمل على كل ما صورته الفلسفات، والتي هي في الأصل بحوث ومحاضرات موزعة على قسمين: القسم الأول يعرض حملة نيتشه على الفلسفه المسؤولين، في نظره، على إشاعة قيم الانحطاط، وأبرزهم سقراط، وأفلاطون، وكانتط، وهيغل. أما القسم الثاني فيعرض لتأثير نيتشه على المفكرين العرب الذين اتخذوه كرمز للتحرر، كما يعرض للرافضين لفلسفته والساخطين عليه.

يتثبت هайдغر *Heidegger* - من منظور تاريخ للفلسفة بوضع إشكالية نيتشه ضمن سؤال الفلسفة الذي هو سؤال الميتافيزيقا، فيرى «أنه يتزل داخلي خط التساؤل الفلسفي الغربي، وإن كان يشكل لحظة ارتکاز واتكمال هذا الخط، فتأويل فكر نيتشه تتم قراءة الفكر الغربي بحمله»<sup>1</sup>.

ولقد استقطبت فلسفة نيتشه الجدل الجاري اليوم بين الفلاسفة المعاصرین حول العقلانية واللاعقلانية، الحداثة وما بعد الحداثة، النزعة الإنسانية وفلسفة موت الإنسان. ومارست تأثيرها الكبير على من تشغّل كتاباتهم الصدارة في عالم الفلسفة اليوم من الفلسفه الفرنسيين ميشيل فوكو *M.Foucault* وجيل دولوز وجاك دريدا من جانب وفلسفه فرانكفورت ودعاة الحداثة والعقلانية والتنوير والإنسانية والتقدم من جانب آخر فهي فلسفة مشدودة كالوتر بين مؤيديها ونقادها، مثلما كانت بالأمس القريب مصدر اهتمام فلاسفه الوجودية ياسبرز *Jasper* وهيدجر وبدوي في الفكر العربي المعاصر، كما كانت في الوقت نفسه موضع نقد في كتابات الماركسيين وغيرهم من نقاد نيتشه.

<sup>1</sup> فريديريك نيتشه، هذا الإنسان، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص 68.

ومن هنا سيقدم هайдغر قراءة لنيتشه في هذا الأفق باعتباره آخر فيلسوف ميتافيزيقي في الغرب؛ كما أن مفهوم إرادة القوة يقدم نمط تناول سؤال الكائن لديه ما دام يعبر عن الخاصية المؤسسة لكل الأشياء الموجودة.<sup>1</sup>

وإذا كانت القراءات المعاصرة لدى فلاسفة ما بعد الحداثة: فوكو ودولوز وديريدا تنطلق من نيتشه، ومن القراءة الهيدج리ه لفلسفته التي تحمل منه آخر الميتافيزيقيين الكبار في الغرب. فإن هيدجر نفسه الذي يمكن أن نعده نيتشاويا في مرحلة من مراحل تفكيره، قد أكد وهذا ما يهمنا في هذا السياق على تغلغل القيم في فلسفة نيتشه.

إن نيتشه كتب نقisp العصابي والمولع بالحياة ذو الصحة الاهشة، ما يلي: «يبدو أحياناً أن الفنان والفيلسوف بالخصوص، عبارة عن مجرد صدفة في عصره... تقوم الطبيعة التي لا تقفز أبداً، مع ظهوره بقفرتها الوحيدة وهي فقرة البهجة، لكونها تشعر أنها تحقق لأول مرة المهدف، هناك حيث تدرك أنها بلعبيها مع الحياة والصبرورة كانت في مواجهة أصعب مقابلة، يجعلها هذا الاكتشاف تلمع ويعلم وجهها عياء مسائي ناعم، ذلك الذي يسميه الناس بهاء»<sup>2</sup>.

في هذا السياق يبرز دلوز الفرق بين النقدية الكانتية والنقدية النيتشوية في النقاط الآتية:

- لا ينطلق نيتشه من مبادئ ترنسندنتالية، تكون شروطاً بسيطة لإدراك الواقع وضبط الظواهر، وإنما ينطلق من مبادئ جينيالوجية تكشف عن المعنى وعن قيمة المعتقدات والتآويلات.

<sup>1</sup> ولد أبا، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، ص 48.

<sup>2</sup> جيل دلوز - كلير بارني، حوارات في الفلسفة والأدب والتحليل النفسي والسياسة، تر: عبد الحفيظ أرزقان، أحمد العلمي، إفريقيا الشرق، ط3، 1999، ص 48.

- لا ينطلق نি�تشه كذلك من فكر مشروع يستحجب للعقل وحده، وإنما يقدم توجهاً فكرياً مضاداً للعقل، ومن الخطأ الظن أن اللامعقول هنا يقدم في مقابل العقل شيئاً آخر سوى الفكر مثل: المعطى أو القلب أو العاطفة أو الهوى. ففي اللاعقلانية لا يتعلّق الأمر بشيء سوى الفكر، وما ينافق ويقابل العقل والوجود العقلي.
- في مقابل المشروع الكانطي، يقترح نি�تشه نموذج الجينيالوجي. فالمشروع قاضي محكمة يراقب ويقيّم ويوزع القيم السائدة بينما يتعارض النهج الجينيالوجي مع التقييم القضائي، إن الجينيالوجي هو المشروع الحقيقي: فالتفكير بالنسبة له نمط من التقييم، ولكن القيم هنا تأويل وبيان.
- ليس الغرض من النقد تتبع الغائيات الإنسانية أو العقلية، وإنما تجاوزها نحو الإنسان الأعلى.

يتبيّن من كل هذا أن فيلسوفنا نি�تشه يرفض النقدية الكانطية، وتقويض المشروع الأنطولوجي من أساسه وهدم قاعده الأخلاقية، وتعويض نقدية العقل بالنقد الجينيالوجي الذي يرسم المعرف والحقائق ويعهد لها بالتأويل والتقويم. فالجينيالوجيا تعني إذن في آن واحد المسار التاريخي لنشوء المفاهيم، والكشف عن النوازع والخيوبة لهذه المفاهيم. إنما تنطلق من هذا المقتضى الذي يفرض عنه نি�تشه: «إننا بحاجة إلى نقد القيم الأخلاقية كما أن قيمة هذه القيم يجب دوماً أن توضع موضع سؤال ولأجل ذلك، من الضروري أن نعرف الظروف والأوساط التي أنشأتها، والتي احتضنت نموها وتبعدها (الأخلاق كنتيجة وعرض وقناع وخدعة ومرض وسوء وفهم، ولكن الأخلاق كذلك كسبب وعلاج ودافع وقيد وسم) إنما معرفة لا نظير لها حتى الآن، بل لا أحد يبحث عنها»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ولد أباه، مرجع سابق ذكره، ص 55.

ويستشهد هيدجر بخاتمة دونها نيتشه عام 1885 في إرادة القوة وهي الحكمة رقم 493 والتي يقول فيها- إن الحقيقة هي ذلك النوع من الخطأ الذي لا يستطيع نوع معين من الكائنات الحياة أن يعيش بدونه. إن قيمة الحياة هي الشيء الخامس في نهاية الأمر، وهي كما سنجد مصدر القيم. وهذا الاهتمام الذي يضع فلسفة نيتشه في بؤرة الفكر المعاصر مما يدفعنا إلى الوقوف أمام فلسفة القيم كما قدمها لنا، وذلك يتم من وجهاً نظري على مستويين: الأول بيان ما قدمه نيتشه من كتابات متعددة تدور كلها حول انقلاب القيم والمستوى الثاني تناول القضايا المختلفة التي عرض لها باعتبارها فيما نرى تعبيراً عن القيم بالمعنى الواسع، الذي يرادف البحث في الوجود، وهذا لن يتم إلا بتحليل مفهوم للجينالوجيا مقابل مفهوم الميتافيقيا. فالجينالوجيا هي منهج نيتشه الذي يتناول من خلاله فهم وتأويل الحقائق.

لكن «هذا الإقصاء الاركيولوجي بالنسبة لفلاسفة فوكو قد بين انقطاعين كبيرين في ابستمية الثقافة الغربية: الانقطاع الذي دشن العصر الكلاسيكي (نحو منتصف القرن السابع عشر) وذلك الذي طبع في بداية القرن التاسع عشر عتبة حداثنا»<sup>1</sup>.

فالحقيقة التي أعلنها فوكو عن وحدات الخطاب وكيفية تناول مثل هذه الموضوعات خلقت المشكلة وأضعفت كيان الفكر الغربي المعاصر وأظهرت اختلافاً في الرؤى.

وأن ما قيل عن ملارمي *Mallarmé* يقال عن نيتشه *Nietzsche*، فليست ذات العلاقة، هي التي تربط بين اسم نيتشه والترجمات الذاتية التي ألفها في مرحلة الشباب، أو الإنشاءات المدرسية التي كتبها، أو المقالات الفيلولوجية أو هكذا تكلم زرادشت أو هذا الإنسان، والرسائل ونيتشه الإمبراطور، والدراسات العديدة التي

<sup>1</sup> ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، تر: مطاع صدقي، مركز الإنماء القومي، 1990، ص 25.

يحشر فيها ملاحظات له على تنظيف الشاب، وتأثيرات من الحكم وجوامع الكلم<sup>1</sup>.

لقد سعى نيتشه فيما يرى دولوز إلى خلق مشكلة القيم والتقويم وهو الذي وجهه الفلاسفة إلى تأسيس الأكسيولوجيا. فالقيم في نظر عدد كبير من الباحثين هي محور فلسفة نيتشه، بل انه حول مشكلة الوجود بأسرها فالمشكلة قيمة وبمعنى من أجل التدليل على أثر كتابات نيتشه على نشأة نظرية القيمة المعاصرة.

وفي هذا الصرح الفلسفى يتحدث نيتشه إلى دعاه الأخلاق فيقول: «إنى لن أعظم قط، لكننى سأسدى هذا النصوح للذين يعانون، إن كنتم تحرصون أشد الحرص على إبقاء الأوضاع الاجتماعية والأشياء الجيدة كل شرف وكل قيمة فاستمروا، كالسابق، في إجرائهما على مستكم باستمرار، أجعلوها في قمة أخلاقكم ولا تتكلموا من الصباح حتى المساء إلا عن سعادة الفضيلة، عن طمأنينة الروح، عن العدالة الثابتة، وعن الإنفاق... بيد أنه ابتداء من هاته اللحظة سيصير كل ما هو فيها من ذهب بالياء، بل الأدهى من ذلك»<sup>2</sup>.

يقوم عمل نيتشه على إدخال مفهومي المعنى والقيمة إلى الفلسفة، انه يريد أن يتجاوز الميتافيزيقا الغربية كلها بتحويلها إلى جينالوجيا، وهو لم يخف يوماً أن فلسفة المعنى والقيم يجب أن تكون نقدية. وأحد الحاجز الرئيسية لعمل نيتشه فيما يقول دولوز Deleuze هو كون كانت لم يقم بالنقد الحقيقي، لأنه لم يعرف أن يطرح مشكلته باصطلاحات القيم بينما فلسفة نيتشه، كما نقرأ في أول صفحات كتاب دولوز "نيتشه والفلسفة" تنطلق من الواقعية التالية: أن فلسفة القيم كما يؤسسها

<sup>1</sup> ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم بفوت، المقرر الثقافي العربي، ط1، 1986، ص 24.

<sup>2</sup> نيتشه، العلم المرح، ص 173.

ويصورها هي الإنهاز الحقيقى للنقد، ينبغى أن نضع نقد نيتشه موضع التساؤل، ما يمثل في نظر نيتشه نفسه قراراً أساسياً لا يستلزم أي إعادة فكرية.